The Quarterly Journal of Lisān-i mubīn
(*Research in Arabic language and literature***)**
Print ISSN: 2355-8002
Online ISSN: 2676-3516

The visual elements of the audio components in embodying the meanings of the Holy Qur'an (An exemplary study of verses from Part Thirty from the perspective of transformational mechanisms)

Malek Abdi[1]

[1] Associate Professor of Arabic language and literature, University of Ilam, Ilam. Iran.

Article Info

Article type:
Research Article

Received:
06/12/2023
Accepted:
22/04/2024

ABSTRACT

There is no doubt that the Holy Qur'an has a long history of narrating educational concepts in a purposeful, functional form, so that there is a great fit between the audio aspect and the conceptual meaning that is drawn by the rhythmic mechanisms. We do not doubt - with the slightest doubt - that these phonetic harmonies do not arise between the words and meanings of the Qur'anic verses in terms of coincidence, spontaneity, and randomness in terms of consistency, and the strict conceptual mind rejects that in the case of the Qur'anic verses. Rather, the Qur'anic phonetic components have excellent methods and innovations that are unique to the revealed text on the one hand. Miracles and brevity are what other creative texts created by humans lack. In this study - and in accordance with the descriptive-analytical approach - we felt the beauty of awareness, enlightenment, and the Qur'anic instruction, full of expressive vitality, in critical places in the verse of Part Thirty, wherever we chose it for study and analysis, and we obtained from it a group of cognitive achievements that the Noble Creator took the initiative to draw through the vocal suggestions that characterize him. The Qur'anic approach in three expressive channels that we chose to be primary fields of study in this section, which are stress and intonation, grammatical signs (voices), and phonetics, that is, the phonetics of words that reveal the suggestive phonetic nature of the letters of the verses. The results showed quite a few examples of Qur'anic readings that were based on a solid structure of harmonious musical innovations that expressed the meaning of the verses directly, so that the reader can immediately stand on the pictorial aspect that the music generates and is established by the available semantic data and the synthesis secretions. The cohesive tone that prepares it The Qur'anic text for addressees with its three rhythmic privileges, which are embodied through the activities of stress and intonation, the rhythmic role of grammatical features, and phonetic interactions that generate meaning.

Keywords: The Holy Qur'an, Part Thirty, plastic phonemes, phonemes, stress and intonation, phonetics.

Cite this article**:** Abdi, Malek. (2024). *The visual elements of the audio components in embodying the meanings of the Holy Qur'an (An exemplary study of verses from Part Thirty from the perspective of transformational mechanisms)*, Vol. 16, New Series, No.56, Summer 2024: pages:61-81.

DOI: 10.30479/lm.2024.19646.3654

© The Author(s).

Publisher: Imam Khomeini International University

***Corresponding Author**:)
Address:
E-mail: fatemehkazemi43@yahoo.com

فصليّة لسان مبين العلمية
(بحوث في اللغة العربية وآدابها)
الترقيم الدولي الموحد للطباعه: ۲۳۵۵-۸۰۰۲
الترقيم الدولي الالكترونيكي: ۳۵۱۶-۲۶۷۶

الجِهات التشكيليّة للمكوِّنات الصوتيّة في تجسيد معاني القرآن الكريم (دراسة تداوليّة في آياتٍ من الجزء الثلاثين)

مالک عبدی[1]

[1]أستاذ مشارک في اللغة العربية و آدابها بجامعة ايلام،ايلام. ايران.

معلومات المقالة

نوع المادة:
مقالة محكمة

تاريخ الوصول:
١٤٠٢/٠٩/١٥

تاريخ القبول:
١٤٠٣/٠٢/٠٣

الملخّص

لاشكّ أنّ للقرآن الكريم الباعَ الطويل في سرد االمفاهيم التوعويّة بصيغةٍ توظيفيّةٍ هادفة، حتى تحصل هناك ملاءمةٌ كبرى بين الجانب الصوتي والمغزى المفاهيميّة التي تقوم برسمها آلياتُ الإيقاع. ولا نرتاب -بأدنى شكٍّ- في أنّ هذه الانسجامات الصوتية لا تنشأ بين الملفوظات ومدلولات الآيات القرآنيّة من حيث الصدفة والعفويّة والعشوائيّة من حيث الاتّساق، والعقل المفاهيميّ الصارم يرفض ذلك في ساحة القرآن الكريم الوحيانية، بل إنّ للمقوّمات الصوتيّة القرآنية مناهج ومبتكرات ممتازة يتفرّد بها النصّ الوحياني على جهة الإعجاز والإيجاز مما تفتقر إليه النصوص الإبداعية الأخرى التي هي من صُنع البشر. فإننا في هذه الدراسة -ووفقًا للمنهج الوصفي- التحليلي شعرنا بجمال التوعية والتنويه والإيعاز القرآني الجيّاش بالحيويّة التعبيرية في مواضع خطيرة من آيات الجزء الثلاثين، وحصلنا منها على مجموعة من الإنجازات المعرفية التي بادر إلى رسمها البارئ الكريم عبر الإيحاءات الصوتية التي يتميّز بها النهج القرآنيّ في قنواتٍ تعبيريّةٍ ثلاثٍ وهي النبر والتنغيم، والعلائم الإعرابيّة (الصوائت)، والأصواتيّة التي تفوح بها الطبيعة الصوتية الموحية لأحرف الآيات. فقد أظهرت النتائج نماذج غير قليلة من المقروءات القرآنية التي تأسّستْ على بنيان رصين من المبتكرات الموسيقيّة الاتّساقيّة التي عبّرتْ عن مدلول الآيات بشكلٍ مباشر، بحيث يُمَكِّنُ القارئَ من الوقوف على الجانب التصويريّ الذي تُـولّده الموسيقى وتؤسّـس له المُعطياتُ الدلاليّة المتوفّـرة، وإفرازات التوليف النغميّ المتماسك الذي يُهيِّـئُـه النصّ القرآني للمخاطبين بامتيازاته الإيقاعية الثلاثة التي تجسّدتْ من خلال فاعليّات النبر والتنغيم، والدور الإيقاعي للسِّـمات الإعرابية، والتفاعلات الفوناتيكيّة المولّدة للمعنى.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الجزء الثلاثون، الصوتيات التشكيليّة، الصَّوائت، النبر والتنغيم، الأصواتيّة.

الاقتباس: عبدی، مالک . (۱۴۰۳). الجِهات التشـكيليّة للمكوِّنات الصـوتيّة في تجسـيد معاني القرآن الكريم (دراسـة تداوليّة في آياتٍ من الجزء الثلاثين)، السنة السادسة عشرة، الدورة الجديدة، العدد ستة و خمسون ، صيف ۱۴۰۳، ۸۱-۶۱.

المعرف الرقمي:10.30479/lm.2024.19646.3654

الناشر: جامعة الإمام الخميني (ره) الدولية. حقوق التأليف والنشر © المؤلّفون.

١. المقدمه

لا يمكننا الحديث عن القرآن الكريم وعن الدلالة والوظائف الإيقاعية للكلمات دون أن نربط بين العناصر الصوتية-التشكيليّة البارزة التي تتـآزر على ابتناء جهة معيّنة من المعنى واستفزازاته التي لا تتحصّل إلا بواسطة إفرازات الآليّة التنغيميّة والفوناتيكيّة والفونيميّة (الصوائت الدالّة على المعنى) التي تتخذ من الصوت وسيلةً للتوصيل والتخاطب، ويشكّل حيّزًا كبيرًا من الدلائل الإعجازيّة التي تقوم على استخدام المثيرات والمنبّهات الصوتيّة والاستجابات المواتية لها، والتي لها دورٌ حيويّ في بلورة الأهداف التنمويّة والجهات المقاصديّة والإستراتيجيات الإفهاميّة التي نزلتْ مِن أجلها الآيات.

فمحاولتنا في هذا المشوار البحثي تأتي للبحث عن هذا المشروع الأصواتيّ الديناميكيّ الذي يندرج ضمن إطار آي الجزء الثلاثين، وما نستشعر به فيها من دلالات يوحي بها الصوت وإمكانيّاته التشكيليّة، عن طريق متابعة دورةٍ تواصليّةٍ إيقاعيّةٍ لا تهدف إلّا إلى إقناع المخاطبين وتخصيب ممتلكاتهم الذهنيّة والتصويريّة القائمة على أصول المستنبطات المعرفيّة التي توفّرها لهم الطاقات الموسيقيّة للكلام. فإنّ القرآنَ صوتٌ ووحيٌ ونغمٌ وإيحاءٌ وتفاهمٌ وإيصالٌ وتعبيرٌ وإبداعٌ تختلف منظومته التوصيليّة عن كلّ ما تتصف به المنظومات التعبيريّة الأخرى من العيّنات النصيّة التي يصوغها العقل البشري، وإنّ القرآن في قـمّـة الإبداع الصِّواتيّ الذي تنحسر في زاويته المراكزُ الإبداعيّـة والطاقات التعبيريّة التي تعتمد عليها الأنساق التركيبية الأخرى.

وبناءً على ذلك، فإننا نعلم أنّ للقرآن شأنًا متمايزًا يختلف عن المبتكرات السبكيّة التي نتحسّـسُها في الحقول الإبداعيّة الأخرى، ويتحتّم علينا كذلك افتراض المناهج القرآنيّة المتشعّـبة الدلالة التي لا تتوقّف عند كونها آليّات مُبَسَّـطة للتعبير عن معنًى متفرّدٍ بعينه وكفى، بل إنّ فيها نصًّا مترابطًا مباشرًا على كون المعنى الربانيّ منسبكًـا في قوالب الأدوات اللفظيّة التي من شأنها أن ترتقي إلى ما ارتقتْ إليه المعاني الوحيانيّة النبيلة، لتحصل الموافقة الاستلزاميّة الملحوظة بين الجهات المعنويّة والضوابط الصوتيّة المجلوبة لها. فنُـقِـرّ طوعًا "أنّ الدلالة الصوتيّة متوافرة الأبعاد في القصّة القرآنيّة، يتلمّسها الدارس في تخيّر الألفاظ بما لها مِن وَقْعٍ حالمٍ ونغمٍ وادعٍ تسيغه الأذن ويلـذُّه السّمع" (سعيد، د.ت: ٣۶).

١-١. خلفيّة البحث

هناك دراسات وبحوث ظهرت في ساحة اللسانيات قديما وحديثا والتي يأخذ كل منها طرفا من جانب التحليل في مسائل الصوت وما يتصل بها من دلالات وفاعليات وظيفية. وههنا نذكر بعض أهم هذه الدراسات لكي نقف وقوفا تقريبيًّا على أهم ما صدر في هذا الباب من إنجازات. مقالة "الأنساق الصوتية ودلالتها في القرآن الكريم سورة إبراهيم نموذجا" لعلي أصغر روانشاد وزملائه (٢٠٢١) وقد تطرّقوا فيها إلى أهمّ المسائل الصوتية التي تشتمل عليها هذه السورة في غضون دلالاتها. ومقالة "دلالة الأصوات في القرآن سورة النجم والقمر نموذجًا" بإعداد عيسى متقيزاده وكاوه خضري عام (١۴٣۴) حيث ذكرا فيها بعض الوجوه الصوتية الإيقاعية التي تكتظ بها آيات هاتين السورتين المباركتين من حيث التمثلات الصوتية. وبحث بعنوان "مشاهد القيامة في القرآن الكريم دراسة صوتية في سورة الواقعة، الحاقة والانشقاق" بقلم عيسى متقيزاده وزميليه وقد بحثوا فيه قسمًا من الإيحاءات الصوتية التي تتوافر في غضون آياتها معالجين فيه مسألة جمال التعبير الذي ينشأ من ناحية الجمال التصويري من خلال جداول إحصائيّة منتظمة في هذا الباب. ووجدنا مقالا تحت عنوان "الدلالة الصوتية والموسيقية لسورة الكوثر دراسة تحليلية" (٢٠١۵) بقلم عادل عباس النصراوي، وقد وقف فيه المؤلف على أهمّ ما امتازت به هذه السورة المباركة من معالم الصوتيّات التوظيفيّة ودلالاتها في ترقية المعنى. كما

عثرنا على مقالة لمؤلفها قيصر حسن بعنوان "الدلالة الصوتية في سورة نوح عليه السلام" (١٤٤٠)، وواضح أنه بادر فيها إلى رسم الملامح البيانية التي ارتسمتْ في السورة من خلال توظيف الإمكانيات الصوتيّة. إلى جانب مقالة "جوانب من الدلالة الصوتية في النص القرآني والتراث العربي" (٢٠١٥) من إعداد فاطمة برماتي وإدريس بن خويا، وقد استعرض فيها المؤلفان لمحات من التداوليات الخطابيّة المقارنة التي تبلورتْ في القرآن الكريم والنصوص العربية الموروثة من خلال استقصاء المدارج الصوتية التي لها تأثير مباشر في تغيير البنيات الدلالية. كما أعدّ كلّ من عليرضا محمدرضائي وعبدالصاحب طهماسبي بحثا صوتيًّا آخر عنوانه "سورة الرحمن دراسة صوتية شاملة" (١٣٩٨)، وعرضا فيه نماذج من الدلالات الصوتية التي تجلّت في هذه السورة متّكئين فيه على نظريتي التآلف الصوتي والمحاكاة الصوتية في تجسيد هذه الدلالات. وكتب بهروز قربان‌زاده مقالا بعنوان "دراسة الملامح الصوتية والنحوية في سورة الحشر المباركة من منظار الأسلوبية" (١٣٩٨)حيث تناول فيه جملةً من الملامح الصوتية الجمالية التي تمظهرت في غضون آيات هذه السورة في إطار ما يوحي به التناوب والالتفات والتكرير الصوتي من دلالات. ووجدنا مقالا موسوما بـ "صوت الراء ردوده الجمالية والدلالية في سورتي التكوير والانفطار دراسة صوتية" لكاتبيه جلال مرامي وسعيد سواري (١٣٩٧)، حيث تطرّقا فيه إلى أهم المواضع التي تجسّدت فيها صوتيات حرف الراء التي أدّت إلى تصوير المعنى في السورتين بشكل أوفى. وأخيرا طالعتْنا مقالة في النسيج المقطعي بعنوان "دراسة أسلوبية للنسيج المقطعي في سورة يونس" لمؤلفيها محمد إبراهيم خليفة شوشتري وطالب ربيعي (١٣٩٨) إذ بحثا فيها أهمّ ملاحظات النسيج المقطعي ودوره في تنشيط الدلالات الصوتيّة فط السورة المباركة.

وبحثنا فيما بحثنا فرأينا ساحة الدراسات الصوتية تخلو عموما من العكوف على مبادرة الفرق بين مصطلحَي الأصواتيّة والصِّواتة في حقل الدراسات اللسانية، والتي من شأنها أن تكون محـكًّا رئيسًـا لإنجاز المهـامّ الدلالية في الجانب الصوتي منها. فاتّجهنا إلى هذه المبادرة الصوتيّة للكشف عن بعض ما اتّسمتْ به آيُ الجزء الثلاثين من دلالات النبر والتنغيم والصوائت، والصواتة والأصواتية كلٌّ على سواء.

تحاول هذه الدراسة-وعن طريق ابتناء مناهج الدرس اللساني-الأصواتي أن تحصل على إجابات مقنعة عن السؤالين التاليين:

- ما هي أبرز المكوّنات الصوتيّة التي تمظهرتْ في أبنية الآيات المدروسة في إطار البحث نبرًا وتنغيمًا وتصويتًا؟
- كيف ساهمتِ المؤثرات الأصواتيّة-التشكيليّة في بلورة المفاهيم المقصودة في الآيات المختارة بأرقى نمطٍ دلاليّ؟

٢. الإطار النظري للبحث

٢-١. الأنماط الاستدعائية للأصوات الوظيفية وفاعليتها في تسييق الوحدات الدلالية

كلنا نعلم أنّه لا تتجلى علاقة الصوت بالدلالة إلا من خلال السياقات الداخلة فيها، وأنّ للسياق طبعًا دورًا أساسيًّا في تبيين الوظيفة الإفهـاميّة التي يقوم بها الصوت لتسجيل المعنى في ذاكرة المتلقّي، ومن هنا تظهر أهمية ما قاله جان كوهين بهذا الصدد حيث قال "إن علاقة الصوت والمعنى هي علاقة اعتباطية، غير أن هذا لا يَصدُق إلا على الدليل المفرد، فبمجرّد ما ننتقل إلى النسق تبرز المناسبة بين الصوت والمعنى" (كوهين، ١٩٨٦: ٧٥). وهذه العلاقة الطبيعية بين الرمز والمعنى هي التي تكون موسومة عند الدكتور تمام حسان بـــ "الدلالة الاستدعائية" (حسان، ٢٠٠١: ١٠٩). فلغة القرآن طيّعة مرنة ذات سهولة تعبيرية وانسيابية في التوصيل والتخاطب، وهي لغةٌ تفوق المقولات البشريّة شكلا

ومضمونا وإبداعا، وتكون هذه اللغة رمزا للإيماء والإيحاء لدى المنظور القرآني الذي تبقى آثاره المعرفية منحسرة في أذهان القارئين لولا استعانة النص بهذه الميزات الصوتيّة، ثمّ الكشف والإبانة اللذين تستدعيهما الاستخدامات الصوتية لإبراز المعنى في صورةٍ أبهى وأوضح. ولانكاد نجد انعداما لهذه الظواهر الأصواتية لدى الأنساق القرآنيّة التي تَتْبَعُها المعاني المتحوّلة والثابتة التي تنبثق من نهجها النغميّ-التلاؤميّ؛ فإن "النظام الصوتي القرآني -متضمّنًا الظواهر الصوتية- وجهٌ من وجوه الإعجاز فيه، إذ قامت بدور كبير في بيان الدلالات المتعددة والإيحاءات المتنوعة لألفاظ القرآن" (الطائي، ۲۰۲۰: ۹).

فكما رأينا بعضَ الشواهد والتلميحات من نفاذ هذا الأثر الصوتي البالغ على تقرير المعنى وترسيخه في ذهن المتلقين فيجب أن لا نتنكر عموما لأهميّة الأبنية الصوتية والمسارات الإيقاعية في خلق الدلالات التي تعجز عن إدراكها الصياغات المألوفة لمكـوّنات النص، فقد كان للقرآن الكريم ميدان رحب لمثل هذه الدراسات والتناولات الصوتيّة حيث "إنّ توظيف الدلالة الصوتية بالألفاظ والسياقات القرآنية من شأنه أن يُساهم في إظهار الدلالات الحقيقية للنص القرآني، وحتى في حلّ كثير من المشكلات التفسيرية" (بني دومي، ۲۰۰۶: ۶).

فلمّا كانت العربية هي لغة القرآن وآليّة إبداعه فيجب أن نتعرّف من خلال هذه المعالجة الصوتية-الوظيفيّة على الامتيازات التي تحوزها لغة القرآن في النصّ على الأصول التأسيسيّة الفوناتيكيّة التي نكون بصدد الحديث عنها لكي نعرف مدى اختلاف المسارات التصويتية الرائدة للقرآن عن سائر المواصفات التي تتوافر في النصوص المدروسة الأخرى، فإننا نعلم "أن اللغة العربية تمتاز في مجموع أصوات حروفها بِسَـعَةِ مَدرجها الصوتي سـعةً تُقابل أصوات الطبيعة في تنوّعها وسعتها، وتمتاز من جهةٍ أخرى بتوزّعها في هذا المدرج توزّعًا عادلا يؤدّي إلى التوازن والانسجام بين الأصوات" (مطلوب، ۱۹۸۷: ۲۸).

فإذ كانت اللغة العربية هي تمتاز بمثل هذه الشحنات الاستحداثيّة المعبرة وتحوز سعةً إبداعية وطاقات شمولية جمّة فيكون القرآن الكريم -وبطريقةٍ أولى- هو المَعْلَم الأساسي لحدوث هذه التمظهرات الصوتيّة الدليلة، وهذه الميزة الاستدعائيّة الجادّة لدى القرآن الكريم وممتلكاته البيانيّة هي التي تدفعنا نحو هذه المبادرة الاستقصائيّة في نطاق الجزء الثلاثين منه، وهو أضخم أجزاء الذكر الحكيم من حيث عدد السور وتراكمها وتعاقبها واحتوائها على الموروثات الفكرية واللسانية والإيقاعيّة الثرّة، حتى نكشف على القارئ -وبقدر المستطاع- بعض الإدراجات الصوتية والمُدْرَكات الدلالية التي اختفت وراء الألفاظ وبقيتْ أسرارها التوصيليّة طيّ الكتمان لو لم يكن بحوزة الدارس هذه المرتكزات التقنينيّة الواعية نبرًا وتنغيمًا وأداءً فوناتيكيًّا حاسمًا.

۳. الإطار التطبيقي للبحث

۳-۱. الرمزيّة الإيقاعيّة للصوائت المتكافئـة ودورها الوظيفي في تسوية المشهد التواصليّ

ولننظر في بداية هذا القسم التحليلي -وبُغـية الوصول إلى الغرض الاستبياني الذي يرنو إليه القرآن لترسيخ الجهة المقاصدية للمعنى الهدائي- إلى قوله تعالى في سورة الانفطار المباركة حيث يقول ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ إذ نجد في الآية الكريمة بتركيبها الدالّ الموحي مجموعة متراكمة من حركات الفتح دون غيرها من الصوائت، وهي انتظمت وتوزّعت على كافة أحرف العبارة من بدايتها إلى الحرف الأخير ما عدا الألف الممدودة اللينة التي تخلّلت الكلام فوقعت في وسط سائر الحروف المفتوحة نظرا للقيمة الصوتية الزائدة التي تجلبها للكلام من حيث حمولتها الصوتية المتسعة،

فلننظر إلى تركيب الآية الأحرفيّ والحركيّ مرة أخرى حيث نقرأ قوله هكذا ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾؛ ولننتبه فيها إلى كثرة تعاقب الفتحات واحدة تلو الأخرى في أحرف هذه العبارة، إذ كلّها في حالة استواءٍ بمعونة الفتح، حيث خلت العبارةُ نهائيًّا من الحركات الأخرى وإنّما الفتحة احتلّتْ مساحات هذا التركيب الحرفيّة فأوجدتْ فيها إيقاعا خفيفًا مسترسلا يتلاءم تماما مع ما يتطلّبه المعنى. فكما نعلم أنّ الفتحة هي تتصف بخفّة في النطق ومرونةٍ صوتية فريدة من نوعها من بين الحركات الثلاث، فإن الخفّة والسلاسة في الفتحة هما اللتان تخلو منهما الضمة والكسرة، يقول الخليل بن أحمد "الفتحةُ أخفّ من الضمة والكسرة، والألف أخفّ من الياء والواو، فألزمت فيهما الفتحة التي هي أخف الحركات" (عبادة، د.ت: ٣١)؛ ويقول سيبويه في تحقيق المعنى ذاته "الفتحة أخفّ عليهم من الضمة والكسرة، كما أنّ الألف أخفّ عليهم من الياء والواو" (سيبويه، ١٩٨٢: ١٨٨و١٦٧)؛ فرأينا أن الفتحة هي الأخفّ من بين الحركات والألف كذلك تُعتبر أخفّ الأحرف الممدودة الثلاثة وأرقّها جميعا! والآية تتكوّن من ١٣ فتحةً تتوسطها ألفٌ لينة خفيفة، بحيث تقع من عن يمين الألف ٧ فتحات ومن عن يسارها ٦ فتحات أُخَر على التوالي، وهكذا نلمس بوضح كيف توفّرت في الآية كميّة كبيرة جدا من التطابق التبادليّ الملحوظ بين إملاءات الصوت وما يوحي به النص من معان، إذ إن المعنى يدور حول التسوية والعدل والاستواء في خلق الإنسان، وأين نجد أحلى وأرقى من هذا التركيب العلاماتيّ/الأحرفيّ/النغميّ للدلالة على هذا العدل والاستقامة لدى الأنسان في هيئته الظاهرية، والذي فطره الله في أعلى حالات خلقته عدلًا وتسويةً واكتمالا؟! فإنا نتصور حقا أن تركيبة هذه الآية تشبه خيمة منتصبة والفتحات هي أرجاؤها المتوزعة عليها، والألف هي عمود الخيمة الذي وقع في وسطها للحفاظ على ثباتها وانتصابها لئلا تتزعزع أركانُ الخيمة، كما أن للإنسان عمودًا فقريًّا في هيكله العظمي ثم إن له أجزاءً وأعضاءً في أنحاء بدنه لا تقوم إلا بقيام هذا العمود الفقري وانتصابه! والألف في هذا النسق التعبيري تلعب دور العمود الفقري للآية، والفتحات حواليها يمينًا ويسارًا هي بمثابة أجزاء بدنه المتفرقة على أنحاء هيكليته.

والسؤال التالي هو أن الله تعالى لِمَ جاء بالفتح والألف –وهما الأخفّان– فاختارهما للدلالة على معنى خلق الإنسان وهو أمر عظيم؟! والجواب أن عملية الخلق ولو كانت عظيمة خطيرة في حدود التصورات البشرية إلا أنها أمرٌ هيّنٌ على الله سبحانه وتعالى، إذ قال في موضع من القرآن الحكيم (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)؛ ويقول في موضع آخر (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) بمعنى أن كل عمليات البدء بالخلق ثم الإعادة والبعث وقيام الساعة و... لا تكون على الله إلا أمرا سهلا ليّنا خفيفا، "وما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته كنسبة خلق نفس واحدة، والجميع هيِّنٌ عليه" (ابن‌كثير، ١٩٩٧: ٣٤٩)؛ فكأنّ خلق الناس جميعا وبعثهم يحلّ عنده محلّ خلقِ واحدٍ من الآدميين أجمعين! وللدلالة على هذه الخفة والسلاسة في الخلق والبعث جاء بالحركة التي هي أخفُّ فوسّطها بالحرف الأخفّ لترتسم هذه الخفة في أعلى درجاتها على لوحة الآية، ثم ليكون النطق بالآية سهلا خفيفا من جهة الصوت والتركيب والحروف جميعا.

ونظير هذه الآية في ابتناء التركيب الصوتي–التشكيليّ للدلالة على المشهد المتخيَّل مباشرة هو قوله تعالى إذ يقول في سورة يوسف ﴿قالوا تَـالله تَـفْـتَـؤُ تَذكُرُ يوسف﴾ "إذ يلحظ السامع كثرة تكرار التاء فهي من الحروف المتفجّرة، وهنا جاءت مفتوحة، فاتّسعتْ رقعة انفجارها، ولطالما وقع بعدها سكون كان ذلك مدعاة إلى أن تمسك هذا الدويّ الحادث من التفجير (تَلْ، تَفْ، تَذْ)، فهذه المقاطع الثلاثة دلّت بلا ريب على الموقف المتأزّم بين يعقوق عليه السلام وأبنائه، بعد فعلتهم الشنيعة مع يوسف" (سعيد، د.ت: ٣٧و٣٦)؛ بمعنى أنّ الفتحة ههنا بخفّتها وبكلّ ما أحصينا لها من صفات

المرونة والسهولة والاستخفاف أسهمتْ أيّما إسهام في بث هذه الفعلة الذريعة في أرجاء الآية فلم يبقَ الحادثُ متريّثا هادئًا ثقيلا في مستقَرٍّ واحد من الآية، وإنّ الفتحة بنسماتها الصوتية الخفيفة طارتْ بمعالم هذا الفعل الشنيع فوزّعها على أنحاء الآية باسترسال! فلو عدّ الدكتور لقمان للآية ٣ تاءات مفتوحات في الآية فقط وأخذها في الحسبان الدلالي فإننا نضيف عليها أربعة أخرى لم ينتبه لها الدكتور! فلو نظرنا إلى الآية بكاملها (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حَرَضًا أو تكون من الهالكين) لوجدنا أنّ فيها تاءات أخرى في "تَؤ، تَّى، تَك، تَك" وكلها مفتوحات، وأنّ مجموع هذه التاءات السبعة المنفتحة المتعاقبة هي التي سهّلتْ على المخاطب مَسـاربَ الوصول إلى الفعلة الشنيعة التي يسري مفعولها في غضون الآية هونًا وتخفيفًا.

٣-٢. الشَّغَبُ الصوتي في الكلام وإسهامه الدلاليّ في خلق الصورة المغشوشة

يمكننا القول في تحليل آية الزلزال﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أنها وقعتْ على جهةٍ معاكسة تماما مما كانت عليه آية الانفطار من حيث الدلالات الصوتية الصريحة التي تكشف عنها الآية، إذن إنّ من شأن هذه الوسائل الصوتيّة/العلاماتية أن تزوّد القارئ بمغزى دقيقة لا تعبّر عنها العبارة في حال خلوّها من هذا النسق الحركي المتساوق، وكلنا نعترف بدور هذه الأساليب في إثراء المعنى وتخصيب دلالاته، فإنّ "المعرفة الدلالية تبحث عن الشروط التي يجب توفيرها في الرموز المعجمية لإيجاد قابلية تحمل المعنى» (عمر ، ١٩٨٨: ١١)؛ كما أنّنا نرى اتجاها مُسْـبقًا عند جماعة من الأصواتيين القدامى العرب إلى ابتناء هذه الخطة الصوتية ومعالجة قضاياها في دراساتهم الرائدة حيث «كان خليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل اللغويين الذين تنبّهوا إلى العلاقة الكامنة بين جرس الأصوات ودلالاتها» (ابن‌جنّي، ١٩٥٢، ج ١: ٥٠٥)؛ كما نظر ابن جني كذلك في الصوائت وسجّل لها ولتحويلاتها دورا نشطًا في تقليب الصورة الدلالية المتهيّئة "وضرب على ذلك مثلا بكلمة "الذلّ" "التي تُستعمل مرّة بالكسر على الذال ويخصّ يها الحيوان عنئذٍ، كما تُستعمل تارةً بضمّ الدال للدلالة على شيمة الذلّ الإنساني" (ابن‌جنّي، ١٣٨٦، ج٢: ١٨) وبهذه الميزة الصوتيّة يفرّق بين ما يلحق الإنسان والدوابّ من الذلّ العارم كلٌّ على حدة.

فحال العلامات الإعرابيّة في آية الزلزال غير منتظمة أو غير متكافئة كذلك وفق هذا النظام الصوتي الذي ليس له إلا أن يهيّئ للنص جهة تداوليّةً مستجيبة لمثيرات المشهد الحركيّ. فلو نظرنا إلي الآية وهي قوله تعالى﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ لوجدنا فيها ذبذبةً وتأرجُحًا حركيًا ملحوظًا، وواجهنا في بنيتها الصوتيّة عدم انسجامٍ في تواتر الحركات الإعرابيّة وتعاقب الصوائت المتماثلة فيها حسب نظامٍ مضبوط أو وتيرةٍ متماسكة مسترسلة، بل إنّ فيها خلطا ودمجا بين مختلف أنواع الحركات من الضم والفتح والكسر والسكون بشكل غير منتظم، فعندنا في الآية على التوالي: الكسر فالفتح فالسكون فالضمّ فالسكون فالكسر فالفتح فالكسر فالسكون فالفتح فالسكون فالضم فالكسر فالسكون فالفتح فالسكون فالفتح فالسكون! فنلاحظ ١٩ حركة وسكونا بصورة مختلطة ومندمجة بعضها في بعض من دون تواترٍ نغميّ متقارن، ولايتأتّى هذا الاختلال الصوتي/الحركيّ المتفاوت التردّد إلا لتكون معبّرةً تمام التعبير عن الاشتباكات والاصطدامات المتكررة والتغيّرات الفيزيائيّة غير المتوقعة التي يشاهدها المرء أثناء حدوث الزلزال! فكل شيء غير مستقرّ في مكانه وإذا بالأشياء والأشخاص يتطايرون من هنا وهناك على غير جهة، وإذا بالشيءِ يسقط من عَلٍ فجأةً، وإذا بالشيء الآخر يعلو فيُرتمى به إلى السماء وإذا بثالثٍ ينطرح على الأرض هامدًا، وهكذا نلمس بوضوح كثيرا من هذه المشاهد المأساويّة والأحداث المدمّرة التي تقع أثناء حدوث الزلزال علوا وسفلا وصعودا وهبوطا!

وهذا هو النمط الترسيميّ لتجسيد ذبذبة العلامات المستقرّة على أحرف الآية فيما إذا أردنا أن نرمز لها بالأسهم الدلاليّة التالية: "↓↑↔↑↔↓↑↔↑↔↓↔↑↔↑↑↔" إذ رمزنا للكسر -وهي علامة سفليّة- بـ "↓"، ورمزنا للسكون -وهي علامة وسطيّة مستوية بـ "↔"، كما رمزنا للضم والفتح -وهما علامتان علويّتان- بـ "↑"؛ فالباحث المتمعّن يدرك تمامًا أن للصوت والتراكيب النغمية في الحركات الموظَّفة انفلاتًا وانعدامًا للتواتر المنطقي المُحاسَب، لأنّ في موقع الحدث في أرض الواقع تجري كذلك مجموعة من الأحداث المتقلّبة التي تورثُ المنظرَ كراهيةً وتشويشًا فيستبشعه الرائي، ولم ير الناظم القدير إلا أن يأتي بنظامٍ صوتيٍّ/علاماتيٍّ غير متقارن للدلالة على هذه الانفلاتات البصرية التي تُشاهَد في المحيط المنكوب بالزلزال. وعليه فيجب -كما يقول الدكتور محمد العبد- أن "نلتذّ بمثل هذا الثقل والتعثّر الذي يحدث في الألسنة أثناء النطق، لأنه تنافر وعدمُ انسجامٍ صوتيّ حقًّا، ولكن ما أوفى انسجامه مع الصورة المرسومة!" (العبد، ٢٠١٣: ٦٥). فالبشاعة الحركيّة لازمة حيثما استلزمَتْها الهيئةُ البَشِعة التي يُراد تصويرُها كما لاحظناها هنالك في انبعاثات آية الزلزال الصوتية.

ومما يستلفت النظر كذلك في دلالات هذه الآية هي تراكمُ مجموعةٍ من الأحرف التي تتقاسم فيما بينها صفات صوتية متوافقة ومتخالفة في آنٍ واحد وهي الذال والضاد والزاي، فهي وإن كانت تُلفَظُ جميعُها في لغةٍ كالفارسيّة بصوت الزاي فقطّ، إلا أنها في العربية يختلف أمرها، إذ "الذال هي صوتٌ أسنانيٌّ رخوٌ مجهور يخرج مع نطقها الهواء من مكان ضيق فيحصل بسببه احتكاك في الهواء، والأوتار الصوتية مع نطقها في حالة الاهتزاز؛ والضاد حسب أنماطها النطقية الحديثة هي صوت أسناني لثوي شديد انفجاري مجهور مفخّم، والأوتار الصوتية معها في اهتزاز فتسبب الجهر؛ والزاي كذلك أسناني لثوي رخو احتكاكي مجهور" (محمد، ١٩٩٨: ٦٦-٥٨)؛ فنرى في كل منها الأسنانيّة واللثوية والجهر؛ وأما بالنسبة للشدة والرخاوة فإنها تتراوح صفاتها بين الانفجارية والاحتكاكيّة، وكذلك من حيث الاستعلاء والاستفال فإنها ليست على حال واحدة من حيث هذه الصفة إذ إنّ الضاد مفخمة مستعلية، والذال والزاي مرققتان مستفلتان! وكلنا نرى بوضح كيف أنّ الاختلاط الحركيّ-الصوائتيّ الذي حصل بين فونيمات هذه الآية قد سرّبتْ مفعولها الدلاليّ إلى حقل الحروف فنلاحظ هنا كذلك صخبًا مميّزًا واشتباكًا صوتيًّا محسوسًا بين مجموعة من الصفات المتعارضة التي تتقاسمها الحروف المستخدمة في الآية.

٣- ٣. النبر والتنغيم ودورهما الوظيفي/الاتساقي في تمثّلات المعنى

كلنا نعلم أن للنبر والتنغيم تأثيرا بالغا على السامعين حين يبادرون إلى نطق كلمة أو جملة معينة ما باختلافٍ في درجات الصوت في حالات مختلفة ارتفاعا وانخفاضا وعتابا أو استعطافا و...فيتوخَّون بها اختلافات محسوسة في المعنى، وأنّ المعنى قد يفسد أحيانا فيما إذا جيء بالنطق مغلوطا أو مغشوشا أو غير مطابق لما تقتضيه العبارة من تموّجات صوتية أو انفعالات نفسية مؤتلفة مع المعنى. فكل الكلمات والعبارات والجمل "قد تختلف دلالةً على وفق الطريقة التي تُنطق أو تُؤدَّى بها تنغيما برفع الصوت أو خفضه، أو نبرا على مقطع من ذلك التركيب دون غيره، وهذا التنغيم أو النبر يحدّد كل منهما الجملة بدلالة خاصّة تختلف باختلاف طبيعة التنغيم أو حدود النبر" (نهر، ٢٠٠٧: ٧٢).

فلا يمكننا التغاضي عن الإفادات الصوتية التي يأتي بها النبر والتنغيم، والتي تَصْحَبُها طبعًا تغيّراتٌ ملحوظة في المعنى، وإنّ قسما كبيرا من هذه الاختلافات الطبقيّة في مدارج الصوت أثناء نطق الكلمات منوطةٌ بالانفعالات النفسانية والشحنة العاطفية المثيرة التي تجعل الإنسان ينطق بجملته حينا بنغمة الاستخفاف، وينطق بها حينا آخر بنغمة الاستعظام

أو الاستعطاف أو... مثلا، ومع كل نطق فقد يحصل هنالك أنماط جديدة للمعنى، وها هو ما يُعرف اليوم في الدراسات اللسانية الحديثة بـ "نبر الانفعال (=Emotional Stress)، كأن يقول أحدهم للآخر تعال بلهجة الأمر تارة وبلهجة الاستعطاف تارةً أخرى، ويرتبط نبرُ الانفعال هذا بنبر الجملة (=Sentence Stress)، حيث يعتمد المتكلم نبر كلمة معينة في الجملة رغبة منه في تأكيدها، أو التلميح بدلالة معينة في جملة واحدة" (حسام الدين، ۱۹۹۲: ۱۹۸). وعلى ذلك "فإن بعض اللغات ليتخذ النبر وسيلة حرفيّة للتميز بين المعاني" (خضير، ۲۰۱۰: ۳۴و۳۵).

ونظرًا لضيق المجال السّرديّ وعدم اتساع هذه العجالة البحثية هنا فإنّنا نكتفي ببيان موضعين من المواضع التي يلعب فيها النبر والتنغيم دورا بارزا في تجسيد المعنى، لأن النبر والتنغيم في صلة وثيقة بالسياق الكلي الذي يندرجان فيه، ولا يمكن دراستهما بمعزلٍ عن السياقات التي يردان فيها، لأنهما ينتميان إلى نوع من الفونيمات يختلف عن تلك التي في بنية الكلمة، وهي «الفونيمات فوق التركيبية» (=Supersegmental Phone) وهو الفونيم الذي يسعى إلى ما وراء التراكيب اللفظية في صورها الدلالية الأولية وقوفًا على الشبكات المعنوية المترابطة التي تتجاوز الطبقات التشكيليّة الظاهريّة للكلام.

۳-۴. الأنساق النبرية المتباينة ودورها في تنشيط المعنى التداولي

إذا أردنا أن نبحث عن جذور النبر الدلالية وما يتبعها من تأثيرات على تكثيف المغزى المفاهيمية لدى المتلقي فلننظر إلى قوله تعالى في سورة التكوير حيث يقول﴿**علمتْ نفس ما أحضرتْ**﴾؛ وفي الآية نواجه نوعًا من "ما" والتي يمكن أن نعتبرها من ضمن تصنيفات أنواع "ما" الثلاثة حسب النبر الذي نوقعه على مقاطع العبارة، والشحنة الإلقائية التي نُمليها على "ما" هذه أثناء نطقها، فقد تكون بنمط الاستفهام وممارسة الضغط على أولها مع شيء من تغليظ الصوت وإعطائه الجهوريّة المناسبة والارتفاع المطلوب، أو بنمط الموصولية فيما إذا نطقناها بنغمةٍ هادئة مستقيمة متوازنةٍ نغميًّا، من دون تمطيط ولا تقصير في الصوت، كما تكون في خطوة ثالثة مصدريّة الرائحة فيمكننا أن نتلفظ بها في وقعٍ خاطفٍ ونقرؤها تَـوًّا بما بعدها من دون تريُّث أو مُكوثٍ أثناء نطقها حتى لا تشتبه بالصنف الموصوليّ الذي سبق، وعبر هذه الطريقة الأدائية النبرية يُعَدّ من ضمن أنواع ما المصدرية المتأولة مع ما بعدها بمصدر، وكل هذه القراءات حسب الإيقاعات التي تصحبها صحيحة ولا يحدث معها اختلال في نظام المعنى.

فإذا قرأناها بنغمة الاستفهام فتكون منصوبة المحلّ بالفعل الذي بعدها وهي "أحضرت" على أنها مفعول به بمعنى: أيَّ شيءٍ أحضرتْ؟ وإذا قرأناها بالنبرة الثانية التي ذكرناها فهي موصولة والجملة التي بعدها صلة ولا محلّ لها من الإعراب، وهي (ما) عندئذٍ مفعول به أيضا ولكن للفعل الذي قبلها وهو "علمتْ"، والمعنى: ستعرفُ النفوسُ ما أحضرتْه من الأعمال؛ وفي القراءة النبرية الثالثة تعتبر ما مصدريّة، والمصدر المسبوك منها مع ما يليها من مدخولها في محلّ نصبٍ مفعول به للفعل السابق، أي: ستعرف النفسُ إحضارَها يوم القيامة، أي يتيقّن من إحضاره يوم القيامه لطائفة من الأعمال.

ولكي يحصل لنا وقوفٌ أكبر على الإمكانيّات الصوتية المتغايرة التي يولّدها النبر في كلمات نحو "ما" هذه –والتي قد يحدث من خلالها فسادٌ في المعنى أحيانا– فلنعرّج على قوله تعالى في سورة آل عمران حيث يقول (وما عند الله خيرٌ للأبرار)؛ فإذا قرأناها بالتركيز الصوتيّ على "ما" في بداية الآية مع تغليظ الأداء قليلا وتمطيط الألف فيها فقد أشعرنا السامعَ بإيقاع النفي وأوهمناه أنها "ما" النافية، والمعنى يصير عندئذٍ –وحاشَ لله– ليس عند الله خيرٌ للأبرار!! وأما إذا

ترکنا النبرَ یتوزَّع علی أرجاء الآیة بشکلٍ متکافئٍ من دون ترکیزٍ علی مقطع خاصّ منها فقد أشممناه رائحة "ما" الموصولیة وأزلنا عنه توهّم النفي، والمعنی عندئذٍ یتّجه هکذا: الذي عند الله هو خیرٌ للأبرار، وهو المعنی المستقیم.

۳-۵. آلیّة التنغیم وفاعلیّتها التنسیقیّة في توجیه المعنی دلالیًّا

وللنص علی فاعلیة التنغیم في تخصیب المعنی المیتانصي -کإحدی آلیات تحدید الدلالة الصوتیة- فلنقرأ قوله تعالی في سورة المسد إذ یقول سبحانه ﴿**وامرأته حمالةَ الحطب**﴾؛ فالسیاق التأسیسيّ الابتدائي للآیة یقتضي إعراب الرفع لـ"حمالة" حتی یکون في موضع رفع علی الخبریة لـ"امرأتُه"، والجملة اسمیّة مألوفة، ولکنّ المشکلة تبرز حین نری أن الله سبحانه جاء بکلمة "حمالة" منصوبةً حیث لا یمکننا أن نقدرها خبرا للکلمة المرفوعة ما قبلها، ولا یبقی لنا حیلةٌ إلا أن نقوم بتخریجها علی أساس هذه المیزة الإعرابیة المنتصبة، أهي من باب التبریرات النحویّة أم أن هناك أسبابًا أخری یمکننا عبرها تعلیل وجه انتصاب الآیة دلالیًّا وصوتیًّا؟ یقول السمین الحلبي في تخریج إعراب الآیة "(وامرأتُه حمّالةَ الحطب) فقُرِئ بالنصب علی الشّتم" (السمین الحلبي، د.ت، ج ۱۱: ۱۴۵)؛ أي امرأتَـه أعنی تلك المرذولة الهیّنة القدر! ولکن هل یبقی سرّ هذه الدلالة المنصوبة منحصرا في دائرة هذا التخریج الإعرابي وکفی!؟ هلّا یساعدنا التنغیم في تصحیح مسار الآیة الدلالیّ؟ ألا یمکننا فیما إذا وصلنا إلی کلمة "حمالة" فأردنا نطقها أن نفصلها قلیلا عما قبلها من حیث الأداء، وأن نسکت سکتةً لطیفة بعد الانتهاء من قراءة "وامرأتُه" حتی لا یتوهّم السامع أنّ کلمةً مرفوعةً ثانیةً ترید أن تَعْـقُـبَ الکلمة المرفوعة السابقة فتکون لها خبرا؟

فنقول إنه یمکننا اعتماد مثل هذه المبادرة الصوتیّة عند قراءة الآیة حتی تحصل هنالك للمعنی مزیتان بل مزایا ثلاث ضمن الوتیرة الصوتیة الأدائیة التي نختارها للنطق بها. فالمزیّة الدلالیة التنغیمیّة تقتضي أن ننطق بـ"وامرأتُه" أولًا ثم نکتم الصوت فنمکث مکوثًا هنیئا، ثم نغیّر توًّا ترددات الأمواج ونجدّد نغمات الأداء بإحداث شيء من التمطیط والاستطالة الصوتیة عند قراءة کلمة "حمّالة" مع شيء من الترکیز النبريّ المضغوط علی آخرها حین إظهار إعراب الکلمة، حتی یفهم المخاطب أننا خرجنا للتوّ من معادلات الترکیب الاسمي المصوغ في ذهنه سابقا، والذي أوهَـمَـه إلیه إعرابُ الرفع، فیفطن من خلال هذه الإیعازات الصوتیّة لوجه صحّة المعنی التي تتبیّن بمعونة الإمکانیّة التنغیمیّة المستخدمة أعلاه.

فلو کان سبحانه قائلا﴿وامرأتُه حمّالةُ الحطب﴾ بإعطاء "حمالة" إعراب الرفع لأزال عن زوجة أبي لهب کل هذه الشحنة التوبیخیّة القامعة التي صاغها لها في معرض حدیثه عن أوصافها الخبیثة، ولکانت العبارة عندئذٍ جملة اسمیّة مألوفة لم یکن فیها شيء من الدلالة والإیحاء التنقیصيّ في الازدراء بشأن الحمالة التي تستوجب هذا الذمّ والثلب. إلی جانب أنّ دلالة الضمّة هي التأصّل والثبات واللزوم لصفة أو فعل ما، وعلی ذلك فقد تأتي الضمة في المیزان الصرفي الماضوي علی زنة "فَعُل" للدلالة "علی صفاتٍ طُبع علیه الإنسان وأصبحت غریزة فیه مخلوقة معه" (الأسترآبادي، ۱۹۷۵، ج ۱: ۷۴)؛ فقد ضُمّت عین الأفعال عندما تکون دالّة علی معاني الخلقة والطبیعة، حیثما لا اختیار لصاحبها في جلب تلك الصفات وهي ملازمة لصاحبها لزوما، فلمّا رأوا للضمّة مثل هذه الطاقات التعبیریّة جعلوها علامة علی کل ما فیها اللزوم "لأنهم أرادوا بذلك المناسبة بین اللفظ والمعنی، فأتوا بحرکة فیها اللزوم وهي الضمّ، لأنه لازمه لانضمام الشفتین لتناسب معناها لزوما" (ابن الحاجب، ۲۰۱۴، ج ۱: ۲۲۴)؛ وذلك نظرًا لماهیّة الضمّة الفوناتیکیة "التي تجعلها تفید القوّة والانتصار" (حماني، ۲۰۰۲: ۵۵).

فلو كانت حمالة مرفوعة بالضمّ لكان فيها إيعازٌ إلى جهة ثبوت الخبر للمبتدأ فحسب، وتوافر صفة الحمّاليّة في وجود المرأة على وجهٍ إخباريٍ رتيبٍ، وهذه الميزة متحصّلة بالفعل في وجودها من دون حاجة إلى استخدام الضمّ، فأراد الله أن يضيف على الدلالات الموجودة في الآية دلالةً تأنيبية ثانية فاستمدّها من الخاصيّة الوظيفية للعلامة الإعرابية التي يتكفّل بها الفتح ليوحي مباشرةً بالشيمة المذمومة التي اتصفت بها هذه المرأة. وهذه هي الوظيفة التي نتلمّسها عند العلامات الإعرابية حينما يتمّ توظيفها في السياق بشكل صحيح، وإنّ من فاعليّات العلائم الإعرابية (الصوائت) كمثيرات توحي بالصور الذهنيّة أن تكون ذات إسهام في النص على المبادئ الإفهاميّة التي تجيز لنا شرعيّة الإمكانيّات الصوتيّة، وإنّ العلامة أساسًا هي "مادة محسوسة ترتبط صورتها المعنوية في إدراكنا بصورة مثير آخر تنحصر مهمته في الإيحاء تهيُّؤًا للاتصال" (مطهري، ۲۰۰۳: ۲۷).

۳-۶. السعة الفونولوجيّة للحروف ووظائفها الصوتية-التشكيليّة

هناك مصطلحان في دائرة المصطلحات الصوتية واللسانية قد يخلط بينهما المرءُ فلا يميز كلا منهما عن الآخر من حيث اعتبارهما مصطلحين يفيدان إفادةً واحدةً من الناحية الصوتية وهما الفوناتيك والفونولوجيا، أو ما يعبَر عنهما في العربية بالأصواتية والصِّواتة، وهما مختلفان عن بعضهما البعض من حيث التعاريف الوظيفيّة التي تتأتّى لهما. فالفونولوجيا هي الوجه الدلالي لاختلافات القيم الصوتية في كل لفظ أو مفردة وما يتبعها من تغييرات جذرية في المفهوم المتداوَل؛ وأما الفوناتيك فهو الطبائع الصوتيّة والمواصفات النطقية التي تتميّز بها كل مفردة من نظيرتها على مستوى الكلام. فتتحدّد مهمّة الأصواتية "في تحديدطبيعة المادة الصوتية المكوّنة للأصوات وكيفيّة التلفظ بها، باعتبار الصوت ظاهرة طبيعيّة معزولة..ولكنّ الصِّواتة تهتمّ بالارتباط القائم بين الاختلافات الصوتيّة والاختلافات الدلاليّة، وتهمّها كذلك السِّمات الصوتيّة التي تميز الكلمات بعضها عن بعض" (غلفان، ۲۰۱۳: ۲۳۹-۲۳۷). فالذي نبحث عنه في هذه الدراسة التداوليّة هو العكوف على مسألة الرمزيّة الصوتيّة بحيث "تتمثّل شرعيّتها في البحث عن دلالة الكلمات، وتكون مأخوذة من دلالة الأصوات المكوّنة لهذه الكلمات، كما نبحث من خلالها عن دلالة ذاتيّة للأصوات أو تناسب مباشر بين دلالة الكلمات وسبيعة الأصوات المكوّنة لهذه الكلمات" (Ducrot, Oswald; Todorov, Tzevenan, 1972: 326)، وبهذا نعلم أنّ الدلالة ليست قصرا على الكلمة، بل تتعدّاها إلى جزئها الأدنى حركةً أو حرفا" (العلوي، ۲۰۰۵: ۲۳۴).

فينصبّ اهتمامنا الدلالي في هذا الجانب على محاولة الكشف عن الخطوط الترابطية التي تفسّر القيمة الدلاليّة لترميزات الأصوات، ونميل إلى تحديد النسق الصِّواتيّ الذي يحصّن المعنى بحصون تعبيريّة أكثر بساطة ودالّة في نصّ معيّن. والدالّ الذي نبحث عنه في إطار هذه العمليّة الاستبيانية هو الدالّ على مستوى اللسان دون الكلام، لأنّ دالّ الكلام هو "تدفّقٌ حسيّ قابل للإدراك عن طريق السمع لأنه ظاهرة فيزيائية وكفى، بينما يتمثّل الدالّ في مستوى اللسان في كونه يصبح مضمونًا أو فكرةً مجرّدة تقوم بخلق التنوّع في معنى الكلمات" (غلفان، ۲۰۱۳: ۲۳۷).

۳-۷. سورة الطارق وتجسيد المفاهيم الديناميكيّة فيها عن طريق التمثلات الفوناتيكيّة

المتأمل في مضامين سورة الطارق يجد أن الله سبحانه قد أورد فيها مجموعة من المفاهيم الشامخة الصلبة المتينة من حيث المادة والمعنى، فهو يذكر السماء بعلوّها والطارق والنجم الثاقب "الذي أظهره لفخامة شأنه وأقسم به تعظيما له، كما قال ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾" (الزمخشري، ۲۰۰۸، ج ٤: ۵۵۱)؛ والحافظ الرقيب العتيد بجلالة شأنه، وقصة خلق الإنسان، والتلويح بمنشأ الخلق الذي هو من ماء مهين دافق من بين الأصلاب والترائب

إلى الأرحام، وعملية البعث والحشر يوم القيامة..وكلها مفاهيم عظيمة ذات خطر، وخصوصا عندما أمعنّا النظر في مسألة الخلق نجد أنّ الماء الذي يخرج من المرء والمرأة مع لذّةٍ ودفق هو يشغل حيّزا كبيرا من مفاهيم السورة ويستولي على مساحاتها التأويليّة-التداوليّة، ومسألة طرق النجوم أو الشهب التي يُرجم بها ...فيها من الحركيّة والنوسان والتقلبات الفيزيائيّة والماورائيّة ما لا يخفى على قرّاء السورة، وبناء على ذلك فإننا نرى مجموعة كبيرة من أحرف القلقلة في غضون الآيات ولاسيّما في الآي الثماني الأُوَل منها حيث نجد أن ستّة منها قد اختُتمتْ بالأحرف المتقلقلة، والقاف هي التي فرضتْ سيطرتها وجرسها الخفّاق على أرجاء السورة بظهورها في ختام الآي ۴ مرّات! والأحرف التي تصطبغ من حيث طبيعتها الصوتية الأولية بصبغة الديناميكيّة والحركيّة المتوثبة هي أحرف القلقلة التي تتميّز بميزة الانتفاض الصوتي الذي لا يكاد يفارقها حتى في حالة السكون. والقلقلة هي "صوت زائد يحدث في مخرج الحرف بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه بذلك المخرج .. فيحصل تحريك مخرج الحرف وتحريك صوته..ويُشترط عند الجمهور في إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد كونُه قويًّا جهريًّا..ولذا خصّوا القلقلة بحروف اجتمعت فيها الشدّة والجهر .. فيَقوى الصوت الحادث أثناء نطقها لانفتاح المخرج دفعةً، وهي حروف خمسة يجمعها قولك (قطب جد) .. وتجب المبالغة في القلقلة حتّى يسمع غيرك نبرة قويّة عالية بحيث تشبه الحركة.. كما أن القاف هو أقوى حروف القلقلة لشدة ضغطه واستعلائه" (يُنظر: الجريسي، ۲۰۰۳: ۵۶-۵۴).

فلما كانت القاف تُعَدّ أقوى أحرف القلقلة جمعاء وأشدّها تركيزا على الجانب الصوتي المتفاقم الذي لا تكاد تخمد نيرانها عند إرادة المعنى المحاذي لها من حيث الميزات الصوتية الشديدة والجهرية التي تطرأ عليها أثنا النطق، فنرى فيها وفي قلقلتها الخاصة قوات تعبيرية وانفجاريّة حادّة تتمثل عبر الوظائف الفوناتيكيّة التي تلعبها حرف القاف بتكرارها ۴ مرات في الأيات الأولية و۷ مرات في تمام السورة. وهكذا فقد خلق الله في هذه السورة مشهدًا متقلّبًا نابضًا بالحركيّة ممزوجًا بالقفزات النوعيّة في المعنى والمبنى عن طريق التوظيف الاستدعائي لأحرف القلقلة ورمزيّاتها التكوينيّة، وانتقاء الحرف الأقوى منها للتكرير المتكاثف حتى تكون اللوحات الصوتية للسورة معبرة تماما عن الصور المفاهيميّة المطوّرة التي بادر إلى رسمها القرآن الكريم.

۳-۸. المدارك الحسية الخافتة عن طريق استخدام الرمزيات الصوتية الهادئة في سورة الناس

لا نكاد ننتهي كلّ حين من قراءة سورة الناس حتى نشعر بوساوس خفيفة تسري في أعماق القلوب المرتابة في سيرٍ حثيث، لأنّ سيرًا نغميًّا مكوّنًا من الأصوات التشكيليّة المندرجة في هيكليّة الآيات يحاذي المعاني الإغوائيّة التي يلقيها الشيطان في أمنيّة المرء، ولمّا كانت مكائد الشيطان وهمزه ونفثه وتثبيطه كلّها خفيّة تتسرّب في أعماق الإنسان بشكل لامحسوس دون جلجلةٍ ولا ضجيج، فالمغزى الدلاليّة تستلزم نمطًا صوتيًّا هادئًا للترميز إلى كل تلك الملامح التضليليّة اللامحسوسة التي تصدُر من ناحية الشيطان.

فلو نظرنا في البنية الأحرفيّة التكوينية للسورة بأجمعها لوجدنا الآيات فيها مختومة كلها بحرف السين، وهي أبرز صفاتها الهمس بجرسها الخافت،كما تتخلّل الآيات مجموعةٌ أخرى من أحرف الهمس مبثوثة في تضاعيف السورة من الكاف والهاء والشين والخاء والفاء والصاد، وكلّ منها تأتي لمؤازرة السين التي تلعب الدور الرئيس في تكوين هذه الدورة التواصليّة النغمية. والذي يهمّنا فيها هو وقع السينات المختتم بها الآيُ، إلى جانب السينات المتناثرة في غضون التراكيب إذ يبلغ مجموعها ۱۰ سينات مهموسة، وهنا نتبيّن الفرق بين المنهجين الصوتيين المتناقضين اللذين استخدمهما الله

تعالى في هذه السورة، وفي الطارق التي تحدثنا عنها آنفًا، إذ رأينا في السابقة جلجلةً ووقعًا صارمًا وتوثّبات صوتيّة ملحوظة من خلال الأحرف التي استقرّت في ختام الآيات، ولكنّ هناك جرسًا خفيفًا وإيقاعًا هادئًا بل لامحسوسًا يتواكب تماما مع الخفوت الذي يُتَلَمَّس من القاءات الشياطين.

فما إن وصلنا إلى نهاية كل آية حتى طالعَتْنا سينٌ بهمسها وبادر إلينا رنينها الهادئ المنزور الذي لا يكاد يُسمَع إلا عن طريق الإنصات والإصغاء. فالهمس في الأصوات يعني "ضعف الاعتماد في الصوت حتى يجري معه النفس" (البدراني، ۲۰۱۵: ۲۵۱)؛ وأنّ "الصوت المهموس يتّصف بالرهافة والهمس" (عفيفي، ۲۰۰۹: ۱۵۹)؛ وأما فيما يتعلق بالعدد الصحيح لحروف الهمس فقد دار خلافٌ بين العلماء القدامى والمعاصرين حيث "عدّها ابن سنان الخفاجي عشرة يجمعها قوله (سكت فحثه شخص)، إلا أن المحدثين أضافوا إليها أصواتا أخرى قالوا إنها مهموسة وهي القاف والطاء والهمزة" (محمد، ۱۹۹۸: ۴۸-۴۷)؛ فلو أضفنا -كما قالوا- هذه الأحرف الثلاثة إلى دائرة المهموسات لوجدنا الطاقات الصوتية المتجلية في السورة تربو على عشرين حرفا، فهنا نجد تراكمًا لحروف الهمس في ألفاظ الآية، بحيث نرى طغيانًا أو هيمنةً لهذه الأصوات على هيكليّة السورة، و "في حالة طغيان أصوات الهمس يزداد تأثير الصوت على حاسّة البصر، بمعنى دن الأصوات المجهورة تصلح للإنشاد، أما الأصوات المهموسة فالتعامل الأمثل معها يتمّ عن طريق القراءة، فيكون لذلك قيمة دلالية مقصودة" (عفيفي، ۲۰۰۹: ۱۵۹)؛ فقد نصّ عفيفي على فاعليّة جدّ خطيرة من فاعليات الرمزية الصوتية المهموسة حين نسب جُلّ فاعليّاتها إلى الجهة القرائيّة منها وما يتلقّاه القارئ من مدركات صوتيّة محسوسة عن طريق القدرة السمعيّة والانتباه إلى الجانب الأكوستيكيّ (Acoustic Phonetic) من الأصواتيّة الملحوظة.

فالسورة تعتمد على أكوستيكيّة الصوت بوجه ممتاز، حيث تستغلّ الفرص الإيحائيّة-التوليديّة عن طريق الذبذبات المتهامسة الصادرة عن النصّ الديناميكيّ، عكوفًا على "الخصائص الماديّة أو الفيزيائيّة للكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع" (عمر، ۱۹۹۷: ۲۰-۱۹)؛ وما من شكٍّ أنّ هذا الحيّز الماديّ والمنحى الأكوستيكيّ للصوت المتولّد من ترديدات أحرف الهمس مأخوذ بنظر الاعتبار لدى الصانع الكريم حين أراد بذلك نقلَ فكرةٍ تنبيهيّة حاسمة إلى القرّاء عن طريق ابتناء خطّة دلاليّة مبرمجة من التواردات الصوتية الهابطة التردّد والتموّجات المهموسة التي تتبعها، حتى يحدث لدى السامع في جهازه السمعيّ أثناء تلقّي الأصوات أكبرُ قدر ممكن من الإيماجيّة الاستدعائيّة (Illustrative Invocation) والنوعيّة الصوتيّة (phonetic quality) التي تستريح إليها الذهنيّات المتأوّلة قبل أن تـرضخ لها مداركُ السمع.

وَلْـنُضِـفْ إلى ذلك أنّ الناس هو عنوان السورة، والناس سواء أكان من النسيان كما يزعمون أم من الأُنس فإنّ السين تلعب فيه دورًا رئيسًا، لأنّ الأنس محفوفٌ بملامح الراحة والاستراحة والاسترسال، وأما النسيانُ "فَمِن مَفاعيله هو انحجاب سؤال الكينونة وأمرها بما عبّر عنه هايدغر بلفظ الإنتايغنيس (Enteignis) فيما يفيد به انحجابَ أمر الكينونة عن الإنسان واغتراب كُنهه عنها وانطماسه" (الشيخ، ۲۰۰۸: ۲۹۰)؛ وأساسًا فإنّ فكرة الكينونة هي المنبع الأساس لمقولة النسيان، وبحسب هايدغر "فإنّ نسيان الكينونة هو في أساسها نسيان مركّب: هما "نسيان الكينونة، ثمّ نسيان هذا النسيان ذاته! فلا يعدّها عيبا من المعايب الآدميّة بل يراها الأمر الصادر عن الكينونة مرتبطًا بها ارتباطًا وثيقًا" (ربوح، ۲۰۲۰: ۱۱۱-۱۱۰)؛ فالشيطان بوسوسته الخناسة هذه يسلخ الإنسان من مدارج التفكير في الكينونة الحقّة، ويحول بين المرء وقلبه حظرًا عليه كلَّ المدارك التفكيريّة التي تربطه بالمتعاليات الميتافيزيقيّة التي تنقذه من فخاخ العنصرية والاغترار.

وختامًا فإنّ النون كذلك بفضل حمولتها الدلالية تلعب دورا خطيرا في اختصار الطريق إلى فهم أطياف أخرى من المعنى الكامن وراء ألفاظ السورة. وههنا نسرد للنون بعض القدرات الدلالية الاستيعابيّة التي تغافل عنها الكثيرون. فنضفي ههنا على النون قيمة دلالية قد تكون مجهولة عند كثير من الناس وهي أنها "أداة لغويّة مستقلّة تضاف إلى العبارات في مواضع متفرّقة منها لدلالات معيّنة .. وقد عُني المتقدمون بتبيان بعض الجوانب التي يُستشَفُّ منها إحساس عدد منهم بدلالة خاصّة للنون في خواتم الألفاظ لايشاركها في تأديتها غيرها" (الغامدي، ۲۰۰۵: ٦٨). وقد قال أحد الباحثين المعاصرين في شأن أصواتها "فللنون من رقيق الفضة الخالصة صافي رنينها، ومِن أنين المفجوع ذوبُ صميمه، لا أمسّ بإنسانية الإنسان منها ولا ألصق. ففي النون رِقّــةٌ وعصيرُ أنفاسٍ ..وماجاورت النونُ حرفًا إلا وكان له مِن سنا دناقتها طيفُ خفّةٍ ورشاقة، فكانت النون الأنيسةُ بذلك وحدها دنيا من المشاعر والشعر والموسيقى" (عباس، ۱۹۹۸: ۱۶۸)

فنحن لم نتكلّف هذه الدلالات للنون على جهة التخييل والإيهام، بل إن الكتب والمصادر اللسانية الحديثة تقرّ بهذه التمكنات الصوتية المعبّرة للنون، فقد "أثبتت دراسات نعيم علوية في كثير من الألفاظ النونية كـ: "حنين وعنين، وأنين، ورنين، وهنين و..." وما يتفرّع منها من دلالات، أنّها يوحي جُلُّها بالأصوات المعبّرة عن ألم الجسد أو النفس، وإن كانت تفيد من بعض الوجوه معاني الطرب أيضا" (علوية، ۱۹۸٦، ۱۴۱-۱۲۱)؛ فكيف يمكننا أن لا نقرّ بدلالة هذه الحزمة الصوتيّة النونيّة المتكررة التي بلغ عددها ۱۶ نونًا معظمها مشدّدة، وكلها تقع قبل السينات التي اختتمت بها الآيات، فكأنّ الله سبحانه أراد أن يبدأ بالحزن المتولّد من السيطرة الوسواسيّة التي يمليها علينا الشيطان عن طريق إيحاءات حرف النون، ثمّ ينقل مؤدّاها إلى قفلات الآي الكريمة ويُسْلِمَ شحنتها للسينات حتى تكبتها داخل النفس المقهورة بالآفات الخناسة. فالحزن والهمس متلازمان في السورة، وإنّ كلًّا من النون والسين قد لعبتا دورهما الأصواتي-التشكيليّ بشكل ممتاز في تأدية هذين المعنيين المتجاورين في هيكليّة السورة، حتى لا يبقى عند المستمع أدنى شكٍّ في كون هذه النزعة الشيطانية الموسوسة مؤدّيةً إلى الحزن والاستيئاس والخمول والاندحار والمغبّة المأساويّة التي قامتْ بتصويرها النونُ والسينُ أيّما تصوير.

وإذا كان لنا من كلمة أخيرة بشأن الكسرة وانجذاباتها الفطرية الصوتية فنقول إنها وبفضل سعتها الدلالية أضفتْ مخزونًا إيقاعيًّا لائقًا على المنظومة التداولية الصوتية للسورة، حيث اختُتِمتْ جميع الآيات برنينها الانكساري التنازليّ الهابط، وهذه الدّقّـات الانكسارية توحي بضروب من معاني الخسران والانحسار اللذين يتعرّض لهما المرءُ جرّاء استسلامه لسلطة الشيطان، لأن الكسرة -وبحسب طبيعتها النطقيّة- "متّسمة بالضعف والفتور بالنسبة لسائر الحركات، وأن الناطق يصرف طاقة صوتية وعضليّة أقلّ في تحصيلها بالمقارنة إلى بقية الصوائت" (الرازي، ۱۹۸۵، ج ۱: ۵۴).

النتيجة

أظهرت نتائج الدراسة ما يمكن تلخيصها في المحاور الآتية:

- إنّ المرتكز الأساسي في مبادئ الأصواتيّة الوظيفيّة التي لاحظناها في غضون الآي المدروسة هو المحور الصوتي-الأكوستيكيّ المبنيّ على الانجذابات الصوتيّة القرائيّة، عكوفًا على الحصيلة الإنتاجيّة الذي يتوخّـاها المتلقّي من منظور الوظائف التعبيرية التي يتبنّاها الصوت، بحيث إنّ قسمًا كبيرًا من المعاني المتولدة على بساط الاستخدامات الصوتية

ينبني على أساس ما هو مقروء من القرآن الكريم أثناء تلاوته، وإن الأثر الذي تتركه القراءة الصوتية المنضبطة لحنًا وتنغيمًا لدى السمع هو الذي يحتلّ المركز الأول من بين جميع الاهتمامات الصوتية التي يبادر بها القرآن في منهجيّاته الصوتيّة المولّدة.

- إنّ النبر والتنغيم كدعامتين أساسيّتين من دعائم الإفرازات الصوتيّة لعبا دورا مميّزًا في تطوير المسار الدلالي في الآيات التي عنيناها بالدرس، حيث إنّ المعنى قد خرج من حيّز الانتفاع الصحيح أحيانا بتغيير نبرة طفيفة أثناء النطق بكلمات الآية فآلَتْ إلى الفساد والخلل، كما أنّ بعض التحويلات التنغيميّة أبانتْ عن بعض المعاني المتغايرة التي يمكن أن نتأوّلها على أساس المُعطَيات الصوتيّة الملحوظة، بحيث إنّ كلًّا منها يستند إلى رؤى عقليّة صحيحة حسب التفاسير الموجودة للآيات.

- رأينا في بعض الصوائت المستخدمة دورًا فوناتيكيًّا حاسمًا في بلورة المعاني التي كانت ترتبط بالواقع التصويري ارتباطًا دلاليًّا وثيقًا، حيث إنّ اتّباعَ منهجٍ نَغَـميٍّ تخفيفيٍّ هادئٍ دلّ أحيانا على جهةٍ سلسة أو خفيفة من المعنى، والتي كانت على الله هيّنةً غير عسيرة فاستُعِـينَ بخفّــة الصوائت للدلالة على الهون والاستخفاف اللذين تلمّسهما القارئ عند إرادة المعنى عند إرادة ذلك المعنى. كما أنّ الوتيرة الصوائتيّة المتشابكة المذبذبة التي اُختـيـرَتْ في مقطع آخر من الآيات دلَّـتْ مباشرةً على قصد التشويش والخراب والانفلات المشهديّ الناتج من كارثة الزلزال التي أُرِيــدَ تصويرُها في تلك السورة، وبها فقد تحَسَّـسْـنا أصواتًا متّـصفة بالديناميكية الموحية في سرد الآيات، ولمسنا صفوفًا تشكيليّة متضامّة من المدارك الأصواتيّة التي تآلفتْ ضمنَ تجسيداتها الطاقاتُ الصوت/نصيّة، والتي كانت تنبثق من حيويّة العلامات الإعرابية المستجدّة، حيث لعبتْ أدوارًا لسانيّـةً بديلةً، استجابةً لمثيرات معنويّة اقتضَتْـها الآيات.

المصادر والمراجع

العربية

القرآن الكريم

- ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر. (۲۰۱۴م). **مجموعة الشافية في علمي التصريف والخط**؛ ضبطها واعتنى بها - محمد عبد السلام شاهين، الجزء الأول، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.

- ابن‌جنّي، أبو الفتح عثمان بن عبد الله. (۱۳۸۶ق). **المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها**؛ بتحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، الجزء الثاني، القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- ابن‌جنّي ، أبو الفتح عثمان بن عبد الله. (۱۹۵۲م). **الخصائص**؛ بتحقيق محمّد علي النجّار، الجزء الأول، القاهرة: دارا لكتب المصرية.

- ابن‌كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (۱۹۹۷م). **تفسير القرآن العظيم**؛ تحقيق سامي بن محمد السلامة، الجزء السادس، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية-الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

- الأسترآبادي، رضي الدين محمد بن الحسن. (١٩٧٥م). **شرح شافية ابن الحاجب**؛ تحقيق وشرح محمد نور الحسن؛ محمد الزفزاف؛ محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، بيروت-لبنان: دار الفكر العربي.
- البدراني، علاء حسين عليوي. (٢٠١٥م). **فاعلية الإيقاع في الشعر العربي**؛ المملكة الأردنية الهاشمية-عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.
- بني دومي، خالد قاسم. (٢٠٠٦م). **دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم**؛ الأردن: عالم الكتب الحديث.
- الجريسي، محمد مكي نصر. (٢٠٠٣م). **نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد**؛ ضبطها وصحّحها وخرّجَ آياتها عبد الله محمود محمّد عمر، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- حسام الدين، كريم زكي. (١٩٩٢م). **الدلالة الصوتية، دراسة لغوية لدلالات الصوت ودوره في التواصل**؛ الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة الآنجلو المصرية.
- حسان، تمام. (٢٠٠١م). **اللغة بين المعيارية والوصفية**؛ الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب.
- خضير، محمد أحمد. (٢٠١٠م). **التركيب والدلالة والسياق**؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الرازي، فخر الدين محمد. (١٩٨٥م). **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**؛ الجزء الأول، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الفكر.
- ربوح، بشير (٢٠٢٠م). **المساءلة النقدية لمفهوم الميتافيزيقا في فضاء اللغة عند مارتن هايدغر**؛ الطبعة الأولى، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. (٢٠٠٨م). تفسير الكشّاف؛ الجزء الرابع، الطبعة الثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي.
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. (لا تا). **الدرّ المصون في علوم كتاب المكنون**؛ تحقيق الدكتور أحمد محمّد الخرّاط، الجزء الحادي عشر، دمشق: دار القلم.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان. (١٩٨٢م)، **الكتاب**؛ تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هرون، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي بالقاهرة؛ دار الرفاعي بالرياض.
- الشيخ، محمد. (٢٠٠٨م)، **نقد الحداثة في فكر نيتشه**؛ لبنان-بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- عبادة، محمد إبراهيم. (لا تا). **كتاب الجمل في النحو المنسوب للخليل بن أحمد**؛ منشأة المعارف بالإسكندرية.
- عباس، حسن. (١٩٩٨م). **خصائص الحروف العربية ومعانيها**؛ سوريا-دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب.
- عبد الغني الطائي، رافع. (٢٠٢٠م). **أثر الظواهر الصوتية في تفسير القرآن الكريم**؛ الطبعة الأولى، عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.
- العبد، محمد. (٢٠١٣م). **إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي: مدخل لغويّ أسلوبيّ**؛ مصر-القاهرة: الآكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- عفيفي، أحمد. (٢٠٠٩م). **اللغة بين الثابت والمتغيّر، دراسة نصيّة**؛ الطبعة الأولى، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- العلوي، توفيق. (٢٠٠٥م). «الرمزية الصوتيّة الحدّ والتجاوز»؛ **حوليّات الجامعة التونسيّة**، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسيّة، العدد ٤٨.

- علوية، نعيم. (١٩٨٤م). **بحوث لسانية بين نحو اللسان ونحو الفكر**؛ الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ص ١٤١-١٢١.
- الغامدي، محمد سعيد صالح ربيع. (٢٠٠٥م). «العربية لغة النون»؛ **مجلة الدراسات اللغوية**، المجلد ٧، العدد ٢، ربيع الآخر/ جمادى الآخرة، السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٠٢-٣٢.
- غلفان، مصطفى. (٢٠١٣م). **اللسانيات البنيوية منهجيّات واتجاهات**؛ الطبعة الأولى، بنغازي-ليبيا: دار الكتاب الجديد المتّحدة.
- كوهين، جان. (١٩٨٦م). **بنية اللغة الشعرية**؛ ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، الطبعة الأولى، المغرب-الدار البيضاء: دار توبقال للنشر باتفاق خاص مع دار فلاماريون بباريس.
- مختار عمر، أحمد. (١٩٩٧م). **دراسة الصوت اللغوي**؛ القاهرة: عالم الكتب.
- مختار عمر، أحمد. (١٩٩٨م). **علم الدلالة**؛ الطبعة الخامسة، القاهرة: عالم الكتب.
- مصطفى سعيد، لقمان. (لا تا). **الاتساق الدلالي في قصص القرآن**؛ الأردن: دار الكتاب الثقافي.
- مطلوب، أحمد. (١٩٨٧م). **بحوث لغويّة**؛ الطبعة الأولى، عَمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- مطهري، صفية. (٢٠٠٣م). **الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية**؛ دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- مهدي محمد، مناف. (١٩٩٨م). **علم الأصوات اللغوية**؛ الطبعة الأولى، بيروت-لبنان: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- نهر، هادي. (٢٠٠٧م). **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**؛ تقديم الأستاذ الدكتور علي الحمَد، الطبعة الأولى، الأردن: دار الأمل للنشر والتوزيع.

الإنكليزية

- Ducrot, Oswald + Todorov, Tzevenan, Dictionirt Encycolpedique du Langage, p. 326, Edition du Seuil,1972, col, points.

References

The Holy Quran

- Ibn Al-Hajib, Abu Amr Othman bin Omar. (2014). Al-Shafia collection in the sciences of morphology and calligraphy. Control it and take care of it - Muhammad Abdel Salam Shaheen. part One. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. [In Arabic].
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman bin Abdullah. (1386). Al-Muttasib in clarifying the aspects of abnormalities in the readings and clarifying them. Investigated by Ali Al-Najdi Nassef and others. The second part. Cairo: Ministry of Endowments, Supreme Council for Islamic Affairs. [In Arabic].
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman bin Abdullah. (1952). Properties; Edited by Muhammad Ali Al-Najjar. part One. Cairo: Dara Egyptian Books. [In Arabic].

- Ibn Kathir, Abu Al-Fida Ismail bin Omar. (1997). Interpretation of the Great Qur'an; Verified by Sami bin Muhammad Al-Salama. Part Six. Second Edition. Kingdom of Saudi Arabia - Riyadh: Dar Taiba for Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Astarabadi, Radi al-Din Muhammad bin al-Hasan. (1975). Explanation of Shafia Ibn Al-Hajib; Verified and explained by Muhammad Nour Al-Hassan; Muhammad Al-Zafzaf; Muhammad Muhyiddin Abdul Hamid. part One. Beirut-Lebanon: Dar Al-Fikr Al-Arabi. [In Arabic].
- Al-Badrani, Alaa Hussein Aliwi. (2015). The effectiveness of rhythm in Arabic poetry; The Hashemite Kingdom of Jordan - Amman: Dar Ghaida for Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Bani Doumi, Khaled Qassem. (2006). The connotations of the phonetic phenomenon in the Holy Qur'an; Jordan: The Modern World of Books. [In Arabic].
- Al-Jarisi, Muhammad Makki Nasr. (2003). The end of the useful statement about the science of Tajweed of the Glorious Qur'an: Abdullah Mahmoud Muhammad Omar compiled it, corrected it, and produced its verses. First edition. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. [In Arabic].
- Hossam El-Din, Karim Zaki. (1992). Phonological semantics, a linguistic study of the connotations of sound and its role in communication; First edition. Cairo: Anglo-Egyptian Bookshop. [In Arabic].
- Hassan, okay. (2001). Language between normative and descriptive; Fourth edition. Cairo: World of Books. [In Arabic].
- Khudair, Muhammad Ahmed. (2010). Structure, meaning and context; Cairo: Anglo-Egyptian Bookshop. [In Arabic].
- Al-Razi, Fakhr al-Din Muhammad. (1985). The Great Interpretation and the Keys to the Unseen; part One. Third edition. Beirut: Dar Al-Fikr. [In Arabic].
- Rabouh, Bashir (2020). Critical questioning of the concept of metaphysics in the space of language according to Martin Heidegger; First edition. Beirut: Arab Center for Research and Policy Studies. [In Arabic].
- Al-Zamakhshari, Jar Allah Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar. (2008). Interpretation of Al-Kashshaf part Four. Third edition. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi. [In Arabic].
- Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef. (n.d). Al-Durr Al-Massoun in the Sciences of the Book of the Hidden; Investigation by Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat. Part eleven. Damascus: Dar Al-Qalam. [In Arabic].
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman. (1982), the book; Investigation and explanation: Abdul Salam Muhammad Haroun. part Four. Second Edition. Al-Khanji Library in Cairo; Dar Al-Rifai in Riyadh. [In Arabic].
- Sheikh Mohammed. (2008), Criticism of Modernity in Nietzsche's Thought; Lebanon-Beirut: Arab Network for Research and Publishing. [In Arabic].

- Obada, Muhammad Ibrahim. (n.d). The book of sentences in grammar attributed to Al-Khalil bin Ahmed; Knowledge facility in Alexandria. [In Arabic].
- Abbas, Hassan. (1998). Characteristics of Arabic letters and their meanings; Syria-Damascus: Arab Writers Union Publications. [In Arabic].
- Abdul-Ghani Al-Tai, Rafi'. (2020). The impact of phonetic phenomena on the interpretation of the Holy Qur'an. First edition. Amman: Dar Ghaida for Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Al-Abd, Muhammad. (2013). Creativity of significance in pre-Islamic poetry: a linguistic and stylistic approach. Egypt-Cairo: Modern Academy for University Books. [In Arabic].
- Afifi, Ahmed. (2009). Language between the constant and the variable, a textual study; First edition. Cairo: Dar Gharib for Printing and Publishing. [In Arabic].
- Al-Alawi, Tawfiq. (2005). "Sound symbolism, limit and transcendence"; Annals of the Tunisian University. The official printing press of the Tunisian Republic. Issue 48. [In Arabic].
- Alawiyah, Naeem. (1984). Linguistic research between the grammar of the tongue and the grammar of thought. First edition. Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. pp. 141-121. [In Arabic].
- Al-Ghamdi, Muhammad Saeed Saleh Rabie. (2005). "Arabic is the language of Nun"; Journal of Linguistic Studies. Volume 7. Issue 2. Rabi' al-Akhir/ Jumada al-Akhirah. Saudi Arabia: King Faisal Center for Research and Islamic Studies. pp. 102-32. [In Arabic].
-Ghalfan, Mustafa. (2013). Structural linguistics methodologies and trends; First edition. Benghazi-Libya: United New Book House. [In Arabic].
-Cohen Jean. (1986). Structure of poetic language; Translated by Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari. First edition. Morocco-Casablanca: Toubkal Publishing House, in special agreement with Flammarion House in Paris. [In Arabic].
- Mukhtar Omar, Ahmed. (1997). Study of linguistic sound; Cairo: World of Books. [In Arabic].
- Mukhtar Omar, Ahmed. (1998). Semantics; Fifth edition. Cairo: World of Books. [In Arabic].
- Mustafa Saeed, Luqman. (n.d.). Semantic consistency in the stories of the Qur'an; Jordan: Dar Al-Kitab Cultural. [In Arabic].
- Wanted, Ahmed. (1987). Linguistic Research, first edition; Amman: Dar Al Fikr for Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Motahhari, Safiya. (2003). Suggestive connotation in the singular form; Damascus: Arab Writers Union. [In Arabic].

- Mahdi Muhammad, Manaf. (1998). linguistic phonology; First edition. Beirut-Lebanon: World of Books for Printing, Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Nahr, Hadi. (2007). Applied semantics in Arab heritage; Presented by Professor Dr. Ali Al-Hamad. First edition. Jordan: Dar Al Amal for Publishing and Distribution. [In Arabic].
- Ducrot, Oswald + Todorov, Tzevenan, Dictionirt Encycolpedique du Langage, p. 326, Edition du Seuil,1972, col, points. [In English].

فصلنامهٔ علمی لسان مبین

(پژوهش زبان و ادب عربی)

شاپای چاپی : ۸۰۰۲-۲۳۵۵

شاپای الکترونیکی : ۲۶۷۶-۳۵۱۶

کارکردهای تجسمیِ عناصر صوتی در ترسیم جلوه‌های معنایی آیات قرآن کریم

(پژوهشی در برخی آیات جز سی‌ام ازمنظرِ ابزارهای معناساز صوتی)

مالک عبدی [۱]

[۱]دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه ایلام، ایلام. ایران.

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
مقالهٔ پژوهشی

دریافت:
۱۴۰۲/۰۹/۱۵

پذیرش:
۱۴۰۳/۰۲/۰۳

چکیده

تردیدی نیست که قرآن کریم از سطح تعبیریِ بسیار ارزشمند و بالایی در بیان مفاهیم متعالی و هدایتگر در قالب‌های ساختاری پویا و هدفمند برخوردار است، به‌نحوی‌که تناسب و هماهنگی بسیاری میان جنبه‌های آوایی آیات کریمه و مفاهیم برآمده از آن در ساختار آیات متبلور شود. شکی نیست که این همانندسازی‌های صوتی به‌صورت ناخواسته یا ناگهانی و غیرهدفمند در آیات قرآن کریم رخ نمی‌دهد، چنان‌که ذهنیت معرفت-گرای مخاطب نیز چنین کارکرد ناخودآگاهی را در ساختار تعبیری آیات نمی‌پسندد- بلکه سبک بیانی قرآن آن‌گونه است که زیرساخت‌های صوتی و آوایی منحصربه‌فردی که در بافت آیات وجود دارد نقشی پویا و مؤثر در ترسیم جنبه‌های دیداری و شنیداریِ آن ایفا می‌کنند، و از گونه‌ای خاص و ممتاز از کارکردهای موسیقایی برخوردار است که متون ادبی دیگر فاقد آن هستند. ما در این پژوهش – و به مدد روش توصیفی تحلیلی درصدد آنیم تا به بررسی جنبه‌های زیبایی‌شناختیِ منحصربه‌فردی که آیات قرآن به‌لحاظ جلوه‌های صوتی از آن برخوردارند پرداخته و مواردی از معانی بلند قرآنی را که به مدد صوت و جلوه‌های کارکردیِ آن برای مخاطب تبلور یافته است را در معرض دید خوانندگان این مقاله قرار دهیم. نتایج حاکی از آن است که ابتکارات موسیقایی قرآن در آیات ویژه‌ای از جزء سی‌ام به شکلی دلالت‌مند در قالب مزیت‌های آوایی نبر و تنغیم، فونتیک الفاظ، و کُنش‌مندیِ معناییِ علائم اعرابی (حرکت‌های صوتی) نمود یافته است، و چنین سطحی از استفاده هدفمند از توانمندی‌های صوتیِ واژگان در آیات قرآن نقشی پویا و بی‌بدیل در تبیین شاخصه‌های تحوّل‌گرای آیات جزء سی‌ام قرآن داشته است، چنان‌که درصورت استفاده نکردن از چنان ابزارهای زبانی و موسیقایی شاید قسمت عمده‌ای از پیام‌های هدفمند اخلاقی قرآن در پس پردهٔ کتمان و ابهام باقی می‌ماند.

کلمات کلیدی: قرآن کریم، جزء سی‌ام، کارکردهای تجسمی اصوات، واکه‌ها، نبر و تنغیم، آواشناسی.

استناد: عبدی،مالک؛ (۱۴۰۳). ***کارکردهای تجسمیِ عناصر صوتی در ترسیم جلوه‌های معنایی آیات قرآن کریم(پژوهشی در برخی آیات جز سی‌ام ازمنظرِ ابزارهای معناساز صوتی)***، سال شانزدهم، دوره جدید، شماره.پنجاه و ششم، تابستان۱۴۰۳: ۸۱-۶۱

10.30479/lm.2024.19646.3654:DOI

ناشر: دانشگاه بین‌المللی امام خمینی (ره)

حق‌مؤلف © نویسندگان.